الآداب
المجلد:21، العــدد:01، ديسمبر 2021
الصفحات:423 - 441

الاستلزام الحواري في مسرحيّة حمار الحكيم لتوفيق الحكيم / مقاربة تداوليّة

The conversational implicature in the Hakim's Donkey play by Tawfiq Al-Hakim: A pragmatic approach

ط.د. سارة شاوش[1]

[1] جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة 1 – الجزائر، sara.chaouche@student.umc.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2021/08/27 **تاريخ القبول:** 2021/10/28 **تاريخ النشر:** 2021/12/15

ملخّص:

المعاني الضّمنيّة ظاهرة لغويّة، اعتنى بها غرايس وأسّس نظريّة لمعالجتها، لها مبادئها، ومصطلحاتها، أُطلق عليها نظريّة الاستلزام الحواريّ.

ويأتي هذا المقال لمعالجة هذه النّظريّة، من خلال الوقوف عند مفهومها، ومبادئها، وخصائصها، ثمّ تطبيقها على تفاعل حواري "مسرحيّة حمار الحكيم لتوفيق الحكيم" لمعرفة مدى صلاحيّة هذه النّظريّة في الكشف عن المعاني الضّمنيّة في الكلام.

وقد توصّلنا في نهايته إلى مجموعة من النّتائج نذكر منها:

– تداخل مبادئ غرايس بدليل وجود خرقين في المعنى الواحد داخل المسرحيّة.

– تواصل الخطاب وفهم المقاصد بين شخصيات المسرحيّة، دليل على احترام مبدأ التّعاون، ودليل على اندراج جميع مبادئ المحادثة ضمن هذا المبدأ العام.

كلمات مفتاحية: الاستلزام الحواري، مبدأ التّعاون، المقام، المعنى الطبيعي، المعنى غير الطبيعي، نظريّة الملاءمة.

Abstract:

The implication is a linguistic phenomenon, which Grice took care of and founded a theory to address it, with its principles and terminology, he called the conversational implicature.

المؤلف المراسل: سارة شاوش.

This article comes to address this theory by studying its concept, principles, and characteristics. It, then, applies this theory to a conversational interaction "Al-Hakim's Donkey play" to discover the validity of this theory in revealing the implicit meanings of discourse.
At the end of this article we arrived at a set of conclusions among which:
- The overlap of Grice's principles with the evidence of the existence of two breaches in the same meaning in the play.
- The continuity of the discourse and the understanding of the intentions among the characters in the play is evidence of the respect of the cooperative principle; like it is proof that all the principles of conversation are included in this general principle.
Keywords: the conversational implicature; cooperative principle; situation; natural meaning; non-natural meaning; relevance theory.

مقدمة:

يستعمل الإنسان اللّغة وسيطا أساسيّا للتّواصل مع الغير، وسبيلا لإيصال المقاصد والنّوايا بصورة واضحة أو ضمنيّة، فخاصية اللّغة ومرونتها تمكنه من التّلاعب بمفرداتها كيفما يشاء، سواءً باستعمالها للمعاني التي وُضعت لها أصلا أو بتحميلها لمعاني أخرى إضافيّة حسب ما يُريد تبليغه تاركا للسّامع مجال الفهم.

وهذا ما اهتمّت به التّداوليّة؛ التّي ركّزت في دراستها للّغة على مقاصد المتكلّمين وملابسات الخطاب، ومن أهم النّظريات التي طرحتها: نظريّة الاستلزام الحواري.

والتي سيتمّ معالجتها في هذا المقال تنظيرا وتطبيقا، من خلال الإجابة عن الإشكال الآتي: هل يُمكن مقاربة مبادئ بول غرايس أساسا لتحليل الخطاب المسرحيّ من خلال مسرحيّة حمار الحكيم لتوفيق الحكيم؟ وإلى أيّ مدى يمكن لهذه النّظريّة التّداوليّة الكشف عن المعاني الضّمنيّة الذّي يحتويها الخطاب؟

وذلك وفق منهجيّة، ضمّت مقدّمة وأربعة مباحث؛ تناولنا في المبحث الأوّل والثّاني تعريفا للاستلزام الحواري ونشأته وخصائصه، وتطرّقنا في المبحث الثّالث إلى شروطه، أمّا المبحث الأخير

فضمّ مبدأ التّعاون وأهمّ القواعد المتفرّعة عنه؛ والذّي جمعنا فيه بين التّنظير والتّطبيق من خلال عرض القاعدة وتقديم بعض النّماذج من المسرحيّة، وختمناه بخاتمة حوت عصارة ما استنتجناه.

1. الاستلزام الحواري المفهوم والنّشأة:

1.1 نشأته:

إنّ فكرة الاستلزام الحواريّ* لم تأت هكذا مباشرة، بل مرّت بعدّة مراحل استهلّت بالتّفريق بين المعنى الطّبيعيّ وغير الطّبيعي، إذ عُرّف المعنى الطّبيعيّ حسب غرايس** بأنّه المعنى الدّال على اعتبار أنّه يدلّ على أو يُستدلّ به كدلالة البقع على الحصبة ودلالة الدّخان على النّار، في حين يرتبط المعنى غير الطّبيعيّ بالقصد والاصطلاح؛ فعبارة هذه الرنّات الثّلاث مثلا تعني أنّ الباص مُمتلئ لدى جماعة لغويّة معيّنة، وتعني شيئا آخر لدى جماعة لغويّة أخرى[1].

ومن هنا نجد أنّ غرايس يعتبر المعنى في الأوّل طبيعي تربطه علاقة سببيّة؛ فالدّخان والبقع دلالات طبيعيّة كان السّبب فيها ظواهر هي الأخرى طبيعيّة، بينما في الثّاني اصطلاحيّ تواضعيّ متغيّر بتغيّر الجماعات اللّغويّة.

فالدّلالات غير الطّبيعيّة إذن ترتبط بمقصد المتكلّم وما ينويه من كلامه، على عكس الدّلالات الطّبيعيّة التي ترتبط بالأعراض والنّتائج[2].

ثمّ رأى في مرحلة أخرى أنّ الدّلالة الطّبيعيّة تخرج عن كونها طبيعيّة إن أصبحت إراديّة (أي إن كانت بقصد)، فالأنين وإن دلّ على الألم في دلالته الطبيعية يخرج عن ذلك إن أُصدر بشكل إراديّ.

وقد أعطى غرايس أهميّة كبرى للمعاني غير الطّبيعيّة وذلك لاهتمامه بالجانب التّداولي في الكلام.

وتمثيلا لما تمّ ذكره نسوق الخطاطة الآتية:

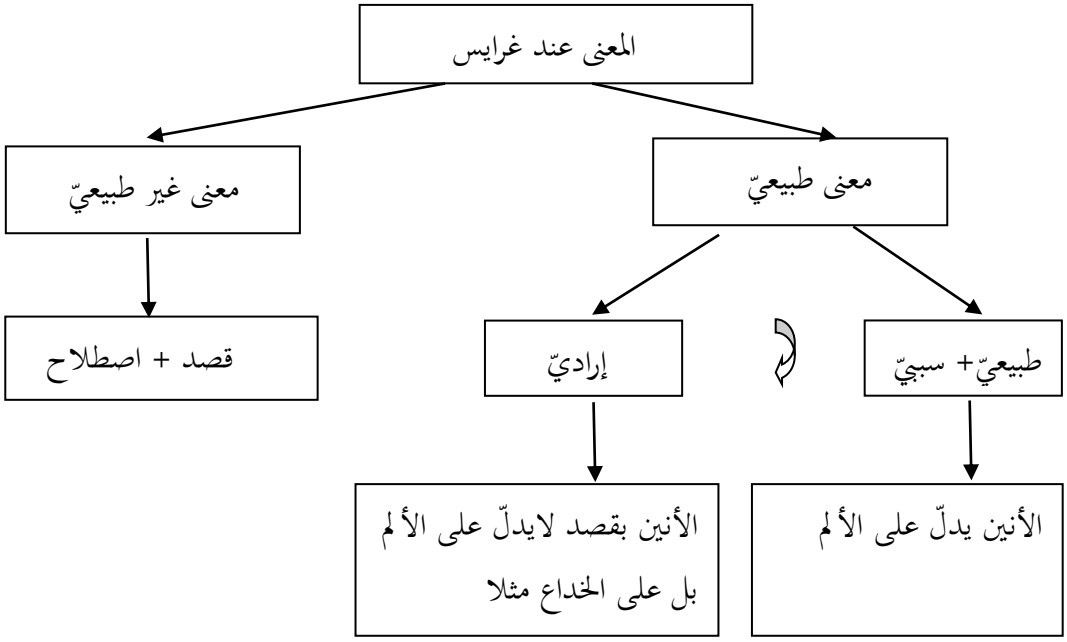

– أنواع المعنى عند غرايس –

1. 2. مفهومه:

الاستلزام الحواريّ من المفاهيم المركزيّة في التّداوليّة، ويقصد به تلك الأقوال " التّي تبلّغ أكثر ممّا يدلّ عليه مجموع الكلمات التّي تُكوّن الجملة"[3].

ويُعرّفه العيّاشي بقوله: "هو ما يرمي به المتكلّم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظّاهري لكلامه إلى معنى آخر"[4].

وعليه فالاستلزام الحواري هو ذلك المعنى الضّمني غير المصرّح به، والمرتبط بمقاصد المتكلّمين وبما يريدون إبلاغه.

ويرى محمّد نظيف أنّ هذه هي القيمة الأساسيّة للاستلزام الحواريّ[***]؛ فخاصيته التّلميحيّة وقدرته على التّبليغ بطريقة غير مباشرة، تمنح الأشخاص القدرة على تبليغ ما يريدونه دون البحث عن الدّوال الملائمة[5].

2. خصائص الاستلزام الحواريّ:

يتميّز الاستلزام الحواريّ بجملة من الخصائص ألا وهي[6]:

- خاصيّة الإلغاء.
- خاصيّة الارتباط وعدم الانفصال عن المحتويات الدّلاليّة.
- خاصيّة تغيّر الاستلزامات بتغيّر المناسبات.
- خاصيّة التّقدير والتّأويل للوصول إلى المعنى المستلزم.

فالاستلزام يُمكن إلغاؤه إذا أُتبع بجملة تُناقض ما تمّ التّصريح به، فمثلا: إذا قال أحد الطّلبة ردّا على أستاذته (أنا لم أحضر المحاضرة)، سيفهم الأستاذ من خلال ما تمّ ذكره أنّ الطّالب قد حضر جزءًا منها، إلّا أنّ الطّالب قد يُلغي هذا المعنى إذا أَتبع كلامه قائلا أنا لم أحضر أصلا.

ولهذه العبارة القدرة على اتّخاذ العديد من المعاني المختلفة والمتغيّرة بتغيّر المناسبات، فقد تكون إخبارا وإعلاما بعدم الحضور، وقد تكون هروبا من الإجابة إذا كانت ردّا على سؤال قدّمه الأستاذ طالبا فيه شرح ما جاء في المحاضرة، وقد يكون لها معنى آخر يُحدّده المقام.

ويحتاج الاستلزام بما أنّه ضمنيّ إلى تأويل وتحليل وتقدير للوصول إلى المعنى الذّي يقصده المتكلّم فمثلا في قول عنترة بن الشدّاد متوعدا النّعمان بن المنذر:

"إنَّ الأَفَاعِي وإنْ لَانَت مَلَامِسُهَا عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا العَطَبُ"[7].

تحتاج إلى تقدير وتأويل للوصول إلى مقصد الشّاعر انطلاقا من:

- إدراك القارئ بأنّ الشّاعر ورغم خرقه لمبدإ النّوع لا يقصد خرقا لمبدإ التّعاون.
- إدراكه بأنّ هذا الخرق قد أخرج الكلام عن معناه الظّاهر المتمثّل في صفات الأفعى إلى معنى آخر ضمنيّ.
- الوصول أخيرا من خلال هذه التّقديرات إلى أنّ المقصود من قول الشّاعر هو التّنبيه والتّحذير وعدم الاغترار بالمظاهر، لأنّها في أغلب الأحيان خدّاعة.

كما أنّ اهتمام نظريّة الاستلزام الحواريّ بمعاني العبارات لا بشكلها، جعل لها ميزة عدم الانفصال عن المحتويات الدّلاليّة، ولتوضيح هذه الفكرة سنأخذ المثال الآتي:" أنا لا أريد أن تأخذي ملابسي، أنا أنظّفها وأرتّبها داخل الخزانة فقط، فالقول الأخير يستلزم الأخذ مطلقا رغم تغييره الصّياغة والإجابة الصّحيحة هي (أنا لا آخذ ملابسك)"[8].

3. شروطه:

أكّد غرايس على ضرورة احترام الشّروط الآتية أثناء التّعبير عن المعاني الضّمنيّة، فعلى المتكلّم[9]:

"-أن لا يترك مجالا للاعتقاد بأنّه لم يتمّ احترام مبدأ من مبادئ التّعاون.

- يجب افتراض أنّ الشّخص المعني بالأمر يدرك أنّ المعنى غير الحرفيّ ضروريّ، لكي لا يقع تناقض بين المعنى الحرفيّ وبين ما نصّ عليه الشّرط الأوّل.

- يظنّ المتكلّم أنّ المخاطب قادر على الاستنتاج والإدراك الحدسي للفكرة التي تتعلّق بضرورة الانطلاق من الافتراض الوارد في الشّرط الثّاني."

فالشّخصين المتفاعلين في الخطاب يجب عليهما التّعاون للوصول إلى الكلام المراد تبليغه؛ لأنّ المتكلّم وبخرقه لأحد المبادئ لا يقصد عدم التّعاون مع شريكه في الخطاب، وإنّما يقصد إيصال معنى معيّن، ويفترض أنّ السّامع سيصله المقصود لأنّه هو الآخر يتعاون معه في الخطاب، وعليه قدرته على استنتاج وفهم المراد من هذا الخرق.

4. مبدأ التّعاون وقواعد المحادثة عند بول غرايس:

بعدما توصّل غرايس إلى مفهوم الاستلزام الحواري، انتقل إلى البحث عن كيفيّة حدوثه فصاغ مجموعة من المبادئ ضمّها مبدأ عام أُطلق عليه مبدأ التّعاون[****]، وينصّ هذا المبدأ على ضرورة مناسبة المساهمة التّحادثيّة مع المطلوب؛ أي ملاءمتها مع متطلّبات الكلام المشارك فيه ملتزما فيه بأربعة قواعد[10] وهي:

1.4. قاعدة الكمّ:

أن يحمل الكلام معلومات كافية تتوافق مع ما هو مطلوب[11]، فإن زاد الكلام أو نقُص عمّا هو مطلوب كنّا أمام استلزام حواري مقصود.

ومن أمثلة هذا الخرق نذكر:

النّموذج	القصد	التّمثيل للمعاني (الحرفيّ+المستلزم)
– في حوار البيك مع البائع عند شرائه للبزّازة:" الولد عمره أدّ إيه؟ واللّه مش ولد. البنت؟ ولا بنت"[12].	إنّ إجابة البيك، لم تكن بالقدر المطلوب؛ لأنّه أراد التّهرّب من الإجابة لعدم رغبته في الكشف عن هويّة المشترى له.	يختلف المعنى المستقى من التّركيب عن المعنى المراد إيصاله وبهذا نستنتج وجود معنيين: معنى حرفيّ ⟵ الإخبار بأنّ الشيء المراد شراؤه ليس لولد ولا لبنت. معنى مستلزم ⟵ التّهرب من التّصريح المباشر لخجله من ذلك.
– في ردّ الآنسة الشّقراء على البيك حينما استأذن منها للانصراف: " أتأذنين لي في الانصراف بهذا الفيلسوف؟ حقّا يا له من فيلسوف!"[13]	إنّ الآنسة هنا، لم تعط إجابة بالقدر المطلوب فخرقت قاعدة الكمّ لإيصال مقصدها الذي يتمثّل في: إعجابها بهذا الحيوان الغريب. ولو احترمت هذا المبدأ لقالت: نعم أأذن لك بذلك.	المعنى الحرفيّ ⟵ التّعجب. المعنى المستلزم ⟵ الإعجاب.

– في ردّ المخرج على البيك بعد سؤاله إن كان قد يئس منه:" أنا أيأس؟! المخرج الذّي ييأس لا ينبغي أن يسمى مخرجا...ما صناعة السنيما إلى صبر طويل... كلاّ لا تخشى شيئا.. إنّي لن أيأس منك...كلّ ما في الأمر أنّي محتاج إلى شيء من الوقت..."[14]	خرق المخرج هنا قاعدة الكم والصّيغة، خرقا أراد به طمأنة البيك واستظهار رغبته الكبيرة في التّمسك به وعدم التّخلّي عنه؛ فهو في نظره أساس بناء ما يريد إنجازه، ولو احترم هاتين القاعدتين لقال: لا لم أيأس.	المعنى الحرفي ⟵ الإخبار بعدم اليأس منه. المعنى المستلزم ⟵ طمأنة البيك واستظهار مدى تمسكه به.
– في ردّ البيك على الخادم في سؤاله عن الشّخص الذّي يريد أن يقدّم له اللّبن: "بعدين تعرف"[15].	إنّ تقديم هذه الإجابة أدّى إلى حدوث استلزام حواريّ وهو: – عدم الرّغبة في استطالة الحديث والرّغبة في الانصراف بسرعة. – عدم الرّغبة في معرفة الخادم بأمر الحمار.	المعنى الحرفيّ ⟵ تأجيل المعرفة إلى وقت لاحق. المعنى المستلزم ⟵ إخفاء أمر الحمار+ عدم استمراريّة الحديث.

4. 2. قاعدة النّوع:

تنصّ على الصّدق في الكلام وعدم التّأكيد على ما هو خاطئ وعلى ما يفتقر من الأدلّة.[16] من أمثلة الاستلزامات النابجة عن خرق هذه القاعدة نذكر:

النّموذج	القصد	التّمثيل للمعاني (الحرفيّ+ المستلزم)
– في ردّ البيك على الرّجل الإنجليزيّ في سؤاله ما إذا كان موضوع القصّة ظريفا: " جدّا: جدّا"[17].	إنّ البيك في هذا القول لم يكن صادقا، لأنّه لم يستمع إلى الحوار أصلا، فخرق هذه القاعدة ليوهم المخرج بأنّه كان منتبها تفاديا لإعادة سرد الأحداث عليه مرّة أخرى. ولو أراد أن يبلّغ معنى صريحا لقال: لقد كنت شاردا ولم أستمع لحديثك.	المعنى الحرفيّ ⟵ إظهار مدى ظرافة موضوع القصّة. المعنى المستلزم ⟵ إظهار الانتباه وعدم الشّرود+ عدم إعادة سرد الحوار عليه.
– في قول البيك واصفا ابتسامة المرأة الشّقراء: "تضحك عن ثغر يسطع نورا"[18].	استعمل البيك هذا التّعبير الاستعاريّ خارقا قاعدة النّوع خرقا أراد به إظهار شدّة جمال ابتسامة المرأة.	المعنى الحرفيّ⟵ الثّغر يسطع نورا. المعنى المستلزم ⟵ إظهار شدّة جمال ابتسامة المرأة الشّقراء.
– في قول البيك لأحد أصدقائه لما طُلب منه أن يتزوّج: " لا إنّي لست جوادا من هذه الجياد، إنّما أنا حمار وحشيّ من تلك الحمير الوحشيّة... فإلى أن	استعمل البيك هذا التّعبير التّشبيهيّ خارقا بذلك قاعدة النّوع والكمّ، ليبيّن مدى عدم قدرته على إيجاد المرأة المصريّة التّي تناسبه.	المعنى الحرفيّ ⟵ الإخبار بكونه حمارا وحشيّا لا جوادا من الجياد. المعنى المستلزم⟵ إظهار مدى رفضه للزّواج لعدم وجود المرأة المصريّة التّي تناسبه.

توجد المرأة المصريّة التّي تروّض حُمر الوحش في غابتنا الإفريقيّة، فإنّ أملي في الزّواج قليل"[19].		
– في ردّ البيك على المخرج حينما طلب منه الذّهاب إلى الريف: "هذا محال لديّ عملي في القاهرة ولا أستطيع التّخلف يوما"[20]	إنّ البيك هنا لم يكن صادقا لأنّ عدم رغبته في الذهاب لم يكن سببها العمل؛ وإنّما مقته للرّيف المصريّ. وبذلك خرق قاعدة النّوع خرقا أراد به إعطاء سبب مقنع يحول دون إلحاح المخرج لذهابه هناك ولو كان صادقا لقال: أنا أمقت الريف.	المعنى الحرفي ⟵ الإخبار بوجود عمل يمنع ذهابه إلى الرّيف. المعنى المستلزم ⟵ عدم ترك مجال لإلحاح المخرج وذلك بإيهامه بأنّه مشغول بالعمل + عدم الرّغبة في الذّهاب إطلاقا لمقته الرّيف المصريّ.
– في قول البيك للسيّدة الشّقراء حينما قالت له:" أخيرا ظهرت... لقد كدت أيأس من ذلك الرّجل العجيب الذّي ترك جحشه واختفى..."[21] " معذرة ياسيّدتي..... إنّما أردت أن أُمتّع جحشي بعطفك أطول	لم يكن البيك في هذا القول صادقا، لأنّه ترك الحمار للتّخلّص منه لا لتمتيعه بعطف المرأة، وقد قصد من ذلك تهدئتها لا غير.	المعنى الحرفيّ ⟵ الإخبار بأنّ السّبب في تركه للحمار هو الرّغبة في تمتيعه بعطف المرأة. المعنى المستلزم ⟵ تهدئة المرأة.

وقت ممكن"[22] .		
– في الأسباب التّي قدّمها البيك للمخرج من أجل الخروج من الغرفة بعدما علم بوجود أشباح فيها:" أفّ الحرّ"[23]. النّوم الآن مستحيل فالحرّ والبعوض"[24].	إنّ هذه الأسباب التّي قدّمها البيك لم تكن صادقة، ما أفرز استلزاما حواريّا غرضه الخروج من الغرفة دون الاعتراف بالخوف من الأشباح.	المعنى الحرفيّ ⟵ استحالة النّوم بسبب الحرّ والبعوض. المعنى المستلزم ⟵ الخروج من الغرفة دون التّصريح بخوفه من الأشباح.
– في ردّ البيك على المخرج حينما أخبره بأنّ الدعاية له ستكون بحماره الفيلسوف: "حقّا ما أجملها دعاية لمؤلّف الحوار... أن يداع أنّ وحيه لا يهبط عليه إلّا من حمار! "[25].	أراد البيك بهذا الخرق الاستهزاء والاستنكار وعدم الرّضا لما بدر من المخرج، ولو كان صادقا لقال: أنا أرفض ذلك.	المعنى الحرفيّ ⟵ إظهار الإعجاب بالفكرة. المعنى المستلزم ⟵ الاستهزاء واستنكار الأمر وعدم الرّضا.

4. 3. قاعدة العلاقة:

ترتكز هذه القاعدة على ضرورة أن يكون الكلام ذا صلة بالموضوع[26].

وتتجلّى مظاهر خرق هذه القاعدة في النّماذج الحواريّة الآتية:

النّموذج	القصد	التّمثيل للمعاني(الحرفيّ+المستلزم)
– فيما ذكره البيك للمخرج	خرج البيك هنا عن موضوع	المعنى الحرفي ⟵ اقتراح القيام

أثناء حديثهما عن المسرحيّة: " ما قولك في نزهة على جسر ترعة هذه القريّة."[27]	الحديث وهو (العمل) لتفادي الحديث عنه.	بنزهة في القريّة. المعنى المستلزم ⟵ الهروب من العمل.
– في قول المرأة التّي تحدّثت مع البيك عن الوحدة: "إنّ القمر جميل."[28]	إنّ في هذا القول خرق لقاعدة العلاقة؛ (فالقمر جميل) لا تتناسب وموضوع الحديث (الوحدة) وعليه فإنّ قصد السّيدة من هذا الخرق هو الرّغبة في مواصلة الحديث مع البيك لوقت أطول.	المعنى الحرفي ⟵ الإخبار عن جمال القمر. المعنى المستلزم ⟵ الرغبة في استمرار الحديث مع البيك.

4.4. قاعدة الصّيغة:

تنص هذه القاعدة على الوضوح وعدم الإبهام والإطناب[29].

وقد جعل غرايس هذا المبدأ فيما بعد على منوال (اجعل كلامك على صورة تصلح لإجابة ما) في ندوة نظريّات استعمال اللّغة، التي ألقاها بجامعة بيليفيلد [30].

وقد تجلّت مظاهر خرق هذه القاعدة من خلال النّماذج الآتية:

النّموذج	القصد	التّمثيل للمعاني(الحرفيّ+المستلزم)
–في قول البيك واصفا غرفته: "ودخلتها فألفيتها كما تركتها، كلّ شيء فيها قائم في مكانه على أحسن ترتيب...كتبي وورقي فوق	نلاحظ في هذا القول عدم إيجاز البيك في وصفه لغرفته، فخرق بذلك قاعدة الصّيغة	المعنى الحرفي ⟵ وصف المكان الذي يقطن فيه الجحش. المعنى المستلزم ⟵ بيان مدى رزانة الحمار.

المكتب، وملابسي في الخزانة وفوق المشجب... و(جراموفوني) وأسطواناتي.... وأواني الزّهر فوق المناضد... وأصص الورد على حاجز الشّرفة...لا شيء مطلقا يدلّ على أنّ في هذا المكان (دابّة ركوب).[31]	ليعكس لنا مدى رزانة حماره وتفرده.	
– في قول المخرج للبيك: " إنّ هذه الشّركة التّي تولّت إخراج الكثير من روايات (إميل زولا) وناشر أعمال زولا هي دار (شارنيتيه) لأصحابها فاسكيل وشركاه"[32]	إنّ عدم احترام المخرج لمبدأ الصّيغة، التّي تنص على: (الإيجاز)؛ إنّما له غرض معيّن هو: (إقناعه بالعمل مع الشركة وعدم إعطائه فرصة للرفض).	المعنى الحرفي ← الإخبار بإنجازات الشركة التّي ستنتج العمل. المعنى المستلزم ← الإقناع.
– في قول البيك للخادم: "واحد قهوة لي وواحد لبن لل..."[33]	إنّ العبارة التّي تلفّظ بها البيك عبارة مبهمة وغير واضحة، أثبتت وجود خرق لقاعدة الصّيغة ما أنتج استلزاما، يقصد من ورائه عدم الرّغبة في معرفة الخادم بوجود الحمار في الفندق.	المعنى الحرفي ← طلب لبن وقهوة. المعنى المستلزم ← إخفاء أمر الحمار.

بعد عرضنا لمبادئ التّعاون عند غرايس وتقديم أمثلة عن الخروقات الحاصلة فيها نستنتج أنّ السّامع دائما ما يفهم مقصود المتكلّم، بدليل تواصل الخطاب بينهما، مايثبت تعاونهما، لأنّ هذه المبادئ كما ذكر غرايس، تندرج ضمن مبدأ عام يجمعها ألا وهو مبدأ التّعاون؛ فبدونه تحدث هوّة بين المتخاطبين وسينقطع الحوار حتمًا.

وسنحاول من خلال المخطّط الآتي شرح كيفيّة حدوث الاستلزام الحواري وكيفيّة التّعاون للوصول إلى فهم المعنى المقصود.

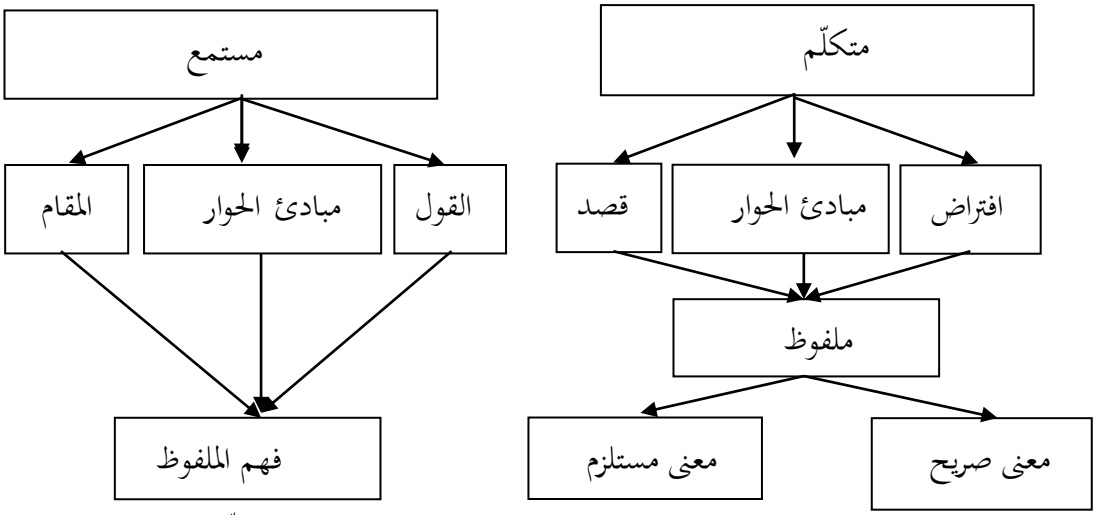

– رسم توضيحي لعمليّة إنتاج الاستلزام الحواريّ وتلقّيه –

ففي قول البيك ردّا على المخرج حينما أخبره بأنّ الدعاية له ستكون بحماره الفيلسوف:" حقّا ما أجملها دعاية لمؤلّف الحوار... أن يداع أنّ وحيه لا يهبط عليه إلّا من حمار!"[34] مثلا تستدعي من من المتكلم (البيك) قبل أن يُوصل مقصده إلى المستمع (المخرج) أن يفترض أوّلا أنّ هذا الأخير يعِي بأنّ المعنى غير الحرفيّ ضروريّ، كما يفترض قدرته على الاستنتاج والاستدراك، ثم يخرق بعدها

قاعدة النّوع، قصد إيصال المعنى الذي يريده من هذا الكلام وهو: استنكار الأمر وعدم الرّضا من جهة والاستهزاء من جهة أخرى.

أمّا المخرج فينطلق في فهمه من:

– المعنى الحرّفي للرسالة.

– إدراك قاعدة النّوع (ومنه التّعاون في الخطاب).

– المقام الذي يضمّ: زمان التّخاطب (موعد العشاء)، مكان التّخاطب (حول مائدة العشاء في منزل الرّيف)، علاقة المتكلّم بالمخاطب (تجمعهما علاقة عمل)، الوضع القائم بينهما (اقتراح الحمار دعاية للبيك كاتب الحوار)، القرينة الدّالة نظرة النّاس للحمار بالإضافة إلى ملامح وجه البيك، ليصل في الأخير إلى مقصد البيك من كلامه.

من هنا نفهم بأنّ حدوث الاستلزام الحواريّ يمر عبر حلقة تواصليّة يمثلها المخطّط الآتي:

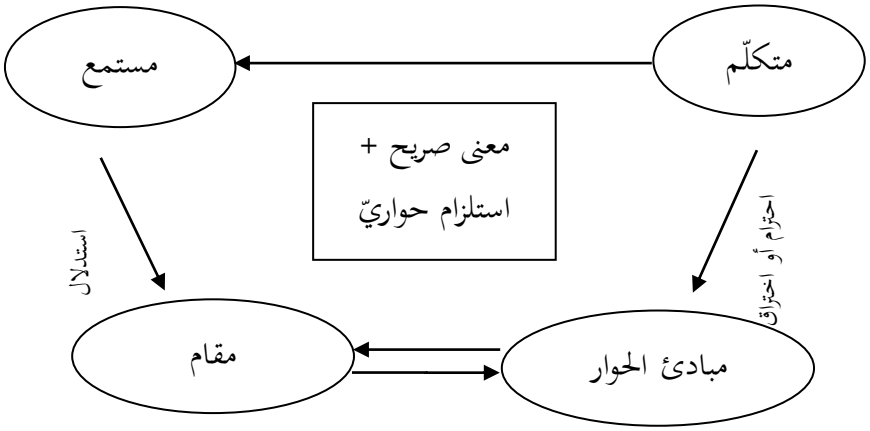

– رسم توضيحي يمثل مراحل حدوث الاستلزام الحواري داخل الحلقة التّواصليّة –

خاتمة:

نستخلص في الأخير من خلال هذه الدّراسة مجموعة من النّتائج الإجرائيّة أهمّها:

– حدوث خرق في كل معنى ضمني داخل المسرحيّة أكّد صلاحيّة مبادئ غرايس في الكشف عن المعاني الضّمنية في الحوار.

– تداخل مبادئ غرايس، بدليل وجود خرقين في المعنى الواحد داخل المسرحيّة.

– تواصل الخطاب وفهم المقاصد بين شخصيّات المسرحيّة، دليل على احترام مبدأ التّعاون ودليل على اندراج جميع مبادئ المحادثة ضمن هذا المبدأ العامّ.

– تُعدّ قاعدة النّوع من أكثر القواعد الحواريّة التّي تمّ خرقها في المسرحيّة، وذلك راجع إلى كون أغلب الحوارات (وحتّى الحقيقيّة منها) تتّسم بعدم الصّدق في الكلام، خوفا أو خجلا أو هروبا وتفاديا لمواجهة الآخر.

– سهولة إيجاد نوع الخرق في المسرحيّة، يؤكّد صلاحيّة تطبيق نظريّة غرايس وملاءمتها لهذا النّوع من النّماذج التخاطبيّة أكثر.

الهوامش والإحالات:

* تُرجم هذا المصطلح إلى عدّة ترجمات نذكر منها: الاستلزام التّخاطبيّ أو التّحادثيّ أو الخطابي أو المحادثي أو الحواريّ، يُنظر عصام محمّد ناصر العصام، ظاهرة الاستلزام الحواريّ في جواب الاستفهام في الحديث النّبوي أنموذجا (دراسة نظريّة – تطبيقيّة ضمن المنهج التّداوليّ)، مجلّة الثّقافة والتّنمية، العدد 60، 2012م، ص41.

** وُلد بول غرايس في برمنجهام عام 1913م، عمل في جامعة إكسفورد ثمّ انتقل إلى جامعة كاليفورنيا، كان له العديد من الإسهامات منها: إسهاماته في فلسفة اللّغة والأخلاق، ومن أشهر ما قدّمه مقالاته التي جُمعت في كتاب واحد عُنون بدراسات في طريق الكلمات، تُوفي غرايس في بيركلي عام 1988م، ينظر صلاح اسماعيل، النظريّة القصديّة في المعنى عند غرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرّسالة 230، الحوليّة 25، ص17.

[1] يُنظر، المرجع نفسه، ص40 – 42.

[2] يُنظر، آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد للتّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني، دار الطّليعة، ط1، بيروت 2003م، ص53.

[3] جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، تر: مجموعة من الأساتذة الباحثين، دار سيناتر، تونس، 2010م، ص112.

[4] العيّاشي أدواري، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني (من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها)، دار الأمان، ط1، الرّباط ، 2011م، ص18م.

*** يعتبر غرايس أنّ الاستلزام الحواريّ ليس الوحيد القادر على إيصال أكثر ممّا يقال وإنّما هناك نوع آخر له القدرة على ذلك ما جعله يقسم الاستلزام إلى حواري وتواضعي ويرتبط النّوع الثّاني بالجانب التّواضعي للّغة ويتميّز بكونه يحمل نفس الإضمار رغم

اختلاف السّياق، يُنظر، جيني توماس، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراغماتيّة (التّداوليّة)، تر: نازك ابراهيم عبد الفتّاح، دار الزّهراء، ط1، الرّياض ، 2010م، ص75.

[5] يُنظر، محمّد نظيف، الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي – دراسة تطبيقيّة في اللّسانيات التّداوليّة، دار إفريقيا الشّرق، المغرب، 2010م، ص164.

[6] يُنظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط1، 2002م، ص38، 39.

[7] ديوان عنتر (عنترة بن الشّداد بن معاوية بن قراد العبسي)، مطبعة الآداب، ط4، بيروت، 1893م، ص11.

[8] البشير المناعي ودلال وشن، تداوليّة الاستلزام الحواري في الخطاب السّردي (دراسة الاستلزامات الحوارية للأساليب الخبريّة في رواية الدّراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدّرغوثي)، مجلّة الأثر، العدد 28 جوان 2017م، ص154.

[9] العيّاشي إدواري، الاستلزام الحواري في التّداول الحواري، ص103.

**** اختلفت وجهات نظر التّداوليّين حول مبادئ التّعاون التي جاء بها غرايس فمنهم من رأى أنها تقتصر على قواعد الحوار، ومنهم من أضاف عليها بعض المبادىء التّهذيبية ، نذكر منها : لايكوف (مبدأ التّأدّب)، براون وليفنسون (مبدأ التّواجه واعتبار العمل) ليتش (مبدأ التأدّب الأقصى)، ومنهم من اختزلها (مبادئ التّعاون) ضمن مبدإ واحد منشئين نظريّة أطلقوا عليها نظريّة الملاءمة هذه النظريّة التّي تستفيد من علم النّفس الإدراكي وخاصّة النظريّة التّقابليّة التي تُفسّر كيفيّة حدوث المعالجة الإخباريّة، ومن الفلسفة الحواريّة من خلال التّركيز على مبدأ الملاءمة واختزال جميع المبادئ الأخرى ثم تعميم هذا المبدأ وإنشاء مايُعرف بالمناسب الاستدلالي، فالمتكلّم يختار المثير الملائم لإبلاغ افتراضاته ويستدلّ السّامع بالمؤشّرات المسوقة من قبل المتكلّم للوصول إلى المقاصد الإخباريّة فالمثيرات الملائمة تفضي إلى افتراضات واضحة سهلة الاستيعاب، يُنظر، طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، ط1 المغرب، 1998م، ص240-246، ويُنظر أيضا، مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربيّ)، دار الطّليعة، ط1، لبنان1، 2005م، ص36-38.

[10] يُنظر، كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، تر ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان1، 2008م، 345.

[11] المرجع نفسه، 345.

[12] توفيق الحكيم، حمار الحكيم، دار مصر للطّباعة، مصر، 1990م، ص24.

[13] الصدر نفسه، ص51.

[14] المصدر نفسه، ص44.

[15] المصدر نفسه، 21.

[16] ينظر،كاترين كيريبرات أوريكيوني، المضمر، ص345.

[17]حمار الحكيم، توفيق الحكيم، ص31.

[18] المصدر نفسه، ص25.

[19] المصدر نفسه، 106،107.

[20] المصدر نفسه، ص46.

[21]المصدر نفسه، ص50.

[22]المصدر نفسه، ص50.

[23]المصدر نفسه، ص77.

[24]المصدر نفسه، ص92.

[25] المصدر نفسه، ص 65.

[26] ينظر، كاترين كيريبرات أوريكيوني، المضمر، ص346.

[27]توفيق الحكيم، حمار الحكيم، ص79.

[28]المصدر نفسه، ص128.

[29]ينظر، كاترين كيريبرات أوريكيوني، ص346.

[30]ينظر، روبوت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، ط1، مصر، 1998م، ص497.

[31]توفيق الحكيم، حمار الحكيم، ص20

[32]المصدر نفسه، ص34.

[33]المصدر نفسه، ص21.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتب:

1- آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد للتّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني، دار الطّليعة،ط1، بيروت، 2003م.

2- توفيق الحكيم، حمار الحكيم، دار مصر للطّباعة، مصر، 1990م.

3- جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، تر: مجموعة من الأساتذة الباحثين، دار سيناتر، تونس، 2010م.

4- جيني توماس، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراغماتيّة (التّداوليّة)، تر: نازك ابراهيم عبد الفتّاح، دار الزّهراء، ط1، الرّياض، 2010م.

5- ديوان عنتر (عنترة بن الشّداد بن معاوية بن قراد العبسي)، مطبعة الآداب، ط4، بيروت، 1893م.

6- روبوت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، ط1، مصر، 1998م.

7- طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، ط1،المغرب، 1998م.

8- العيّاشي أدواري، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني (من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها)، دار الأمان

ط1 الرّباط، 2011م.

9- كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، تر ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2008م.

10- محمّد نظيف، الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي – دراسة تطبيقيّة في اللّسانيات التّداوليّة، دار إفريقيا الشّرق، المغرب، 2010م.

11- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط1، 2002م.

12- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربيّ)، دار الطّليعة، ط1، لبنان 2005م.

2- المجلّات:

13- البشير المناعي ودلال وشن، تداوليّة الاستلزام الحواري في الخطاب السّردي (دراسة الاستلزامات الحوارية للأساليب الخبريّة في رواية الدّراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدّرغوثي)، مجلّة الأثر، العدد28، جوان 2017م.

14- صلاح اسماعيل، النظريّة القصديّة في المعنى عند غرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرّسالة 230، الحوليّة 25.

15- عصام محمّد ناصر العصام، ظاهرة الاستلزام الحواريّ في جواب الاستفهام في الحديث النّبوي أنموذجا (دراسة نظريّة – تطبيقيّة ضمن المنهج التّداوليّ)، مجلّة الثّقافة والتّنمية، العدد 60، 2012م.